الشعر الجديد في نظر النقد الجديد

بقلم الدكتور محمد مندور

استفحلت قضية الشعر الجديد على نحو مثير في جمهوريتنا العربية المتحدة بنوع خاص بعد ان اخذ اعضاء لجنة الشعر برياسة الاستاذ عباس محمود العقاد في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب يتعصبون ضد هذا الشعر ويستغلون مراكزهم في الضغط على قائليه ليردعوهم عنه كأنه رجس من عمل الشيطان ، او ليخرجوهم ولو قسرا من محراب الشعر حتى ليتناقل الادباء في القاهرة طرائف تثير الضحك ، وقد يكون من واجبنا ان نشرك غير القاهريين من ابناء العروبة في التفكه معنا من طرافتها.

فمن ذلك مثلا مايتناقلونه من انه عندما اجتمعت هذه اللجنة العتيدة للنظر فيما انتج الشعراء من شعر ايام العدوان الثلاثي على مصر تمهيدا لتوزيع الجوائز التي قرر المجلس منحها لاحسن شعراء تلك المعركة تناول الاستاذ العقاد كل ماتقدم به الشعراء من قصائد قديمة الصورة او جديدتها واخذ يفرزها ليضع جانبا القصائد ذات الصورة الجديدة ثم يجمعها كلها في ملف واحد ليكتب على غلافه : « الى لجنة النثر للاختصاص » ، وسواء اصحت هذه الرواية بحرفيتها ام لم تصح فانها بلا ريب صحيحة بدلالتها . فجماعة لجنة الشعر ترفض كل شعر جديد حتى دون ان تقرأه وتتبين هل فيه مقومات الشعر وعناصره ام لا ، بحيث يذكرنا موقفها من هذا الشعر بموقف رجل التقى به يوما المرحوم قاسم امين رائد الدعوة الى تحرير المرأة العربية ومؤلف كتاب « تحرير المرأة » ، واذا بهذا الرجل يلعن هذا الكتاب ويسبه سبابا مقذعا فيسأله قاسم امين في روية الفيلسوف وهدوء المفكر الحر : « ولكن هل قرأت الكتاب ؟ » فيجيبه صاحبنا قائلا : « انا لا اقرأ ولا يمكن ان اقرأ كتابا يخالف رأيي ! » ويروي المرحوم قاسم امين هذه الاقصوصة دون ان يعلق عليها بكلمة واحدة لانها في غنى عن كل تعليق ، فالرجل الذي يرفض ان يقرأ كتابا قبل ان يبيح لنفسه الحق في الحكم له او عليه رجل لايستحق الا ان نسأل له الله الرحمة .

ونادرة اخرى قد لايعرفها الكثير من القاهريين انفسهم، ولكنني شهدتها بنفسي ، ويسرني او يحزنني ان ارويها هنا الى القراء العرب ليشاركوني التفكه بها ، وذلك ان ملحنا موسيقيا ممن درسوا فن الموسيقى العالمية في اكبر معاهد باريس راقته قصيدة من الشعر الحديث في صورته الجديدة فلحنها وغنتها على ايقاع اللحن مطربة جملية الصوت ، ولما كان هناك نظام في اذاعة القاهرة يقضي بألا تذاع اية اغنية الا بعد موافقة لجنة تسمى لجنة النصوص فقد عرضت القصيدة على هذه اللجنة التي تضم عضوا من اعضاء لجنة الشعر بالمجلس الاعلى ، واذا بهذا العضو الفاضل يرفض ان ينظر في القصيدة اصلا لمجرد انها غير مكتوبة على عمود الشعر التقليدي . وكاد موقف هذا العضو المحترم يحرم جمهورنا من هذه القصيدة الرائعة لولا ان توفرت داخل اللجنة اغلبية اقرت نصها .

وكانت احدث النوادر التي يتناقلها ادباء القاهرة ما اشترطته لجنة الشعر على كل شاعر تختاره للاشتراك في مهرجان الشعر الاخير الذي انعقد في دمشق من ضرورة اعداد قصيدة تسير على العمود التقليدي لالقائها في هذا المهرجان ، مما اضطر عددا من شعرائنا الجدد ان ينظموا قصائد تقليدية بل جاهلية الجزالة ، ولربما التزم بعضهم فيها مالا يلزم لكي يرضوا لجنة الشعر الموقرة ،ولكي يثبتوا لها قدرتهم على نظم الشعر التقليدي ، وانهم لم يجددوا في صورة القصيدة العربية عن عجز وفرار من قيود الشعر التقليدي بل استجابة لحافز نفسي يشعرهم بان الصورة الجديدة للقصيدة العربية اكثر مواتاة لبعض اغراض الشعر ومواضيعه . وهذا هو مانحب ان نجلوه للسادة المتعصبين للقديم لقدمه ، مع ان بعضهم كان في يوم من الايام من دعاة نوع من التجديد وخصوم الشعر العربي التقليدي الالداء في العصر الحديث ايام احمد شوقي وحافظ ابراهيم واضرابهما من الفحول .

فهؤلاء السادة المتعصبون من حقهم بل من واجبهم ان يعلموا ان كل تجديد في الفن لابد ان يسبقه تجديد في الحياة واتجاهات التفكير واوضاع المجتمع يسوق الى هذا التجديد الفني .

فمما لاشك فيه ان العقلية العربية اخذت تتطور في السنوات الاخيرة تطورا كبيرا من العاطفية الخالصة نحو

مايمكن ان نسميه بالوجدان الفكري الذي يساير التقدم العلمي العالمي والوعي الاجتماعي النامي في كافة بقاع العالم بما فيها عالمنا العربي . ولما كان الشعر فنا جميلا قبل كل شيء وكان لابد له من الاحتفاظ بهذا الطابع الجمالي رغم تغير المضمون وقيامه على الخواطر الفكرية التي تلونها العاطفة ، فقد وجد شعراؤنا الشبان الجدد انفسهم بين امرين : اما ان يحتفظوا للقصيدة العربية بشكلها التقليدي القائم على وحدة البيت ، رغم تغير المضمون فيأتي شعرهم فكريا تقريريا باردا ، واما ان يغيروا من شكل القصيدة بما يتفق مع القالب الجديد الذي اختاروه للتعبير عن افكارهم الجديدة ووعيهم الجديد ، وهو قالب القصة او الدراما القصيرة التي يستطيعون تحميلها مايريدون من معاني الفكر وحقائق الوجدان الجماعي الجديد ، ففضلوا ان يختاروا لشعرهم الاوزان الموحدة التفعيلة وان يجعلوا الوحدة الموسيقية الجزئية في شعرهم « التفعيلة » لا البيت على ان تعتبر القصيدة كلها وحدة موسيقية متكاملة رغم تسلسلها في تفاعيل . وهذا هو مانجده في عدد من القصائد الجديدة الجيدة مثل قصيدة « شنق زهران » لصلاح عبد الصبور التي يصور فيها مأساة دنشواي وفتك الجنود الانجليز ظلما بأهل هذه القرية المصرية التي نكبت بعدوانهم ومثل قصيدة ذكرى جواد حسني لملك عبد العزيز التي تصور فيها بطولة هذا الشاب الشهيد في معركة بور سعيد وغدر الفرنسيين به واغتيالهم له والقاء جثته في البحر ، وهي تصور هذه المأساة الوطنية على نحو يهز الوجدان بتصويره اللغوي وموسيقاه الموحية ، ومن امثال ذلك قصيدة للشاعر هارون هاشم رشيد يصور فيها فتك المعتدين بقرية في فلسطين واحراقها وتشتيت نسائها واطفالها في مجاهل الارض على نحو مثير لازلت اذكر كيف انه ابكى اطفالي الصغار ، وما من شك في ان الصورة الموسيقية الجديدة للقصيدة العربية وهي الصورة القائمة على وحدة التفعيلة تعتبر اكثر عونا للشاعر على رسم صورة قصصية لمثل هذه المآسي .

ثم ان السادة المتعصبين ضد الشعر الجديد يحق لهم بل يجب عليهم ان يعلموا ايضا ان الشعر لم يعد كما كان زينة للمحافل ومدائح للملوك تنشد على الجماهير ، بل اصبح اداة للتعبير الصادق المخلص عما تثيره احداث الحياة في نفس الشاعر من خواطر وانفعالات ، وبذلك لم يعد الشعر في كل حالة ضربا من الخطابة ، بل اصبح في حالات كثيرة نوعا من مناجاة الانسان لنفسه أو لاخيه الانسان او المواطن ، وبذلك لم تعد الصورة التقليدية للقصيدة العربية ضرورة حتمية ، فالصورة القديمة ربما كانت اكثر صلاحية للخطابة الشعرية منها للمناجاة ، بينما الصورة الجديدة تعتبر اصلح قالب موسيقي لهذه المناجاة التي لاتحتاج الى ضجيج او طنطنة ، ويكفيها الصدق الهامس على نحو مانحس في عدد من قصائد احدى رائدات هذه الصورة المبرزات الانسة نازك الملائكة ، وعلى نحو مانحس ايضا في قصائد نزار قباني التي كتبها في هذه الصورة الجديدة ، وفي دواوين غيره من شعراء المدرسة الجديدة مثل احمد عبد المعطي حجازي وبدر السياب وغيرهما .

واخيرا احب للسادة المتعصبين ان يعلموا ان الشعر لم يعد متاع الخواص وحدهم ، واننا قد اصبحنا الان في عصر الشعوب التي من حقها ان تتمتع بالشعر مما يدفع شعراءنا المجددين ان يلتقطوا احيانا من لغة الشعب تعبيرات جميلة فصيحة في جوهرها رغم العصير الشعبي الذي يجري فيها ، وما دامت مثل هذه التعبيرات على بساطتها ليست سوقية ولا مبتذلة ولا خارجة على اصول الفصحى فلسنا ندري لماذا ننحيها عن الشعر الذي لم يعد يعترف احد من الشعراء العالميين المعاصرين في كافة اللغات بان له لغة خاصة فضلا عن ان تكون لغة الجاهلية الاولى .

ولما كنا نود ان نحرص على الانصاف والا نتعصب للجديد لمجرد جدته كما يتعصب الاخرون للقديم لمجرد قدمه فاننا نحرص على ان نسجل ما على الشعر الجديد كما سجلنا ماله ، فمن المؤكد ان انحصار الشعر الجديد في الاوزان الموحدة التفعيلة يحرق من انواع اخرى كثيرة من الاوزان الموسيقية ، وان اختلاف عدد التفاعيل في اسطر القصيدة الجديدة يولد او يمكن ان يولد انواعا من النغم والايقاع ان تنقذ القصيدة من الرتابة المملة ، وكل ذلك فضلا عن انني لا اظن ان الصورة الجديدة للقصيدة تصلح لكافة المضامين وهذا هو مايحسه شعراؤنا المجددون بفطراتهم الشعرية الصادقة حيث نراهم جميعا تقريبا يكتبون الشعر في الصورة القديمة والصورة الجديدة على السواء وفقا لمضمون كل قصيدة ، ونوع التيار النفسي الذي تصدر عنه .

ونحن في النهاية لايمكن ان ندعي ان كل شعر جديد جيد ، كما لايستطيع احد مدرك ان يدعي ان كل قديم جيد . فالشعر الجديد قد نرفضه ويجب ان نرفضه ان نعتبر بعضه شعرا على الاطلاق ، وذلك عندما تتحطم موسيقاه او يصاغ بلغة نثرية تقريرية مسطحة او بعبارات مبتذلة مسفة او يخلو من التصوير البياني الذي يمتاز به الشعر الحق .

واذا كان هناك شيء اساء الى قضية الشعر الجديد فهو بلا ريب اعتقاد بعض الشبان السذج ان الشعر الجديد عبارة عن جمل نثرية توزع على الاسطر ، ثم تدفع الى بعض الصحف والمجلات التي يشرف عليها قوم يعجزون عن تمييز الشعر عن النثر فينشروا هذه السخافات على انها شعر جديد ، والشعر منها براء ، ولكنه من الواضح ان مثل هذه السخافات لايمكن ولا يجب ان تنهض دليلا ضد هذا الشعر الجديد الذي يبلغ بعضه ذروة الشاعرية في موسيقاه وايقاعاته وصوره الشعرية المرهفة .

القاهرة — **محمد مندور**